## الفصل التاسع

# غزوة المُرَيْسِيْع (بني المُصْطَلِق):

يتفق النسابون على أن بني المصطلق بطن من بطون قبيلة خزاعة. ويرى أكثرهم أن خزاعة قبيلة قحطانية يمنية[1]، ويلتقون في نسبهم مع الأوس والخزرج في عمرو بن عامر، الجد الثاني للأوس والخزرج والرابع لبني المصطلق[2]. وكانوا يسكنون قديدا وعسفان[3] في منطقة متوسطة لديار خزاعة المنتشرة على الطريق من المدينة إلى مكة ما بين مَرّ الظهران[4] وبين الأبواء[5]. ولهذا الموقع أهمية كبرى في الصراع بين المسلمين وقريش على طريق القوافل التجارية. وقد عرفت بموقفها المسالم للمسلمين في هذا الصراع، على الرغم مما عليه خزاعة من الشرك ووجود صنم مناة على هضبة المُشَلَّل بقَدِيد من ديارهم، ويحج إليه العرب، وعلى الرغم من قربهم إلى مكة، وما كان بينهم وبين قريش من أحلاف قديمة وربما كان ذلك لسببين رئيسيين.

**الأول**: لصلاتهم القديمة بعبد المطلب جد الرسول ﷺ ومحالفتهم له، إذ إن العداء القديم بينهم وبين قريش والذي انتهى بإخراجهم من مكة في العهود القديمة[6]، قد تبلور قبل ظهور الإسلام، واتخذ شكل صراع شبه دائم بينهم وبين بني بكر من كنانة، الذين كانوا في حلف مع قريش. وقد

---

(١) انظر النويري: نهاية الأرب (٢/٣٣٢)، القلقشندي: قلائد الجمان، ص٩٣، ابن هشام (١/١٣٦).

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات، ص ٧٦، ١٠٧.

(٣) الحربي: المناسك، ص ص ٤٥٨ - ٤٦٣.

(٤) تبعد عن مكة ثلاثين كيلا وشرقي مستورة بثلاثة أكيال - انظر عبدالله آل بسام: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (١/٥٨٤)

(٥) تبعد عن مكة ٢٤٠ كيلا - نظر القريمي: مرويات غزوة بني المصطلق، ص ص ٥٤ - ٥٨.

(٦) ابن هشام (١/١٧٣) بإسناد صحيح، ابن حجر: الفتح (١٤/٢٠/ ك. أحاديث الأنبياء/ قصة خزاعة.

دفعهم هذا الوضع الأمني الخطير إلى السعي لمحالفة عبدالمطلب[٧]. وقد روي أن الرسول ﷺ قد أقر هذا الحلف عندما جاءته خزاعة بنص الوثيقة يوم الحديبية في العام السادس الهجري[٨].

ولعل وجود مناة في ديارهم والاستفادة من ذلك ماديا ومعنويا هو الذي أبطأ بحركة انتشار الإسلام وسط خزاعة عامة وبني المصطلق[٩] خاصة، كما كان الحال في مكة.

وأول موقف وقفته خزاعة ضد المسلمين هو انضمامهم لجيش الأحابيش[١٠] الذي ساند الجيش المكي في غزوة أحد[١١].

وعندما أصابت قريش ما أصابت من المسلمين في أحد تجرأ فيمن تجرأ من الأعراب على المسلمين بنو المصطلق. فقد أخذ زعيمهم الحارث بن أبي ضرار في جمع السلاح والرجال وتأليب القبائل المجاورة للقيام بهجوم على المدينة.

وعندما شعر الرسول ﷺ بهذه الحركة المريبة، أرسل بريدة بن الحصيب الأسلمي للتأكد من نيتهم، وأظهر لهم بريدة أنه جاء لعونهم، فتأكد من نيتهم، فأخبر الرسول ﷺ بذلك[١٢].

وفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة[١٣]

---

(٧) الواقدي (٢/ ٧٨١ - ٧٨٢)، اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٧٨ - ٢٧٩).

(٨) انظر المصدرين والأماكن نفسها.

(٩) انظر العمري: المجتمع المدني - الجهاد، ص ٩٤.

(١٠) هم من انضم إلى قريش من غيرها، وتحبشوا: أي اجتمعوا، وهم القارة (عضل والديش) أبناء الهون بن خزيمة.

(١١) الواقدي (١/ ٢٠٠).

(١٢) ابن سعد (٢/ ٦٣) بأسانيد يصعب فيها التمييز بين ما فيها الواقدي والتي ليس فيها.

(١٣) هذا هو الراجح، وهو قول موسى بن عقبة الذي حكاه عن الزهري وعن عروة انظر: البداية (٤/ ١٧٦) و(٣/ ٢٦٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٥٤)، وفي إسناده ابن لهيعة من غير طريق العبادلة، ومحمد بن فليح صدوق يهم، وأخرج قول ابن عقبة: الحاكم وأبوسعيد كما في الفتح (١٥/ ٣١٨/ ك. المغازي/ ب. غزوة بني المصطلق) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٤٤). وأما نقل البخاري عن موسى بن عقبة أنها سنة أربع فكأنه سبق قلم كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣١٨). وتابع ابن عقبة في هذا: الواقدي (١/ ٤٠٤) وابن سعد (٢/ ٦٣)، وأبومعشر السندي، كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣١٨).
أما ابن إسحاق فقد ذكر أنها كانت في شعبان سنة ست - ابن هشام (٣/ ٤٠١) معلقا. ويعارض ذلك ما في الصحيحين من اشتراك سعد بن معاذ في هذه الغزوة واستشهاده في غزوة بني قريظة، عقب الخندق مباشرة والتي كانت في شوال سنة خمس على الصحيح. وسيأتي ذكر ذلك في مكانه من الكتاب. انظر مناقشة ابن حجر في هذا الأمر - الفتح (١٥/ ٣١٩).

خرج الرسول ﷺ من المدينة في سبعمائة مقاتل[١٤] وثلاثين فرسا[١٥] متوجها إلى بني المصطلق.

ولما كان بنو المصطلق ممن بلغتهم دعوة الإسلام، واشتركوا مع الكفار في غزوة أحد، وكانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين، فقد روى البخاري[١٦] ومسلم[١٧] أن الرسول ﷺ أغار عليهم وهم غارون ـ أي غافلون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضِرَار.

ويروي ابن إسحاق[١٨] ـ بإسناد ضعيف ـ أن ثمة قتالاً قد وقع على ماء المريسيع، ثم انهزم بنوالمصطلق، وقتل بعضهم وأخذ المسلمون أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فتمت قسمة ذلك بينهم. وما في الصحيح أصح وأولى بالاحتجاج به.

ويذكر الواقدي[١٩] أن المسلمين قتلوا عشرة من بني المصطلق وأسروا سائرهم ممن وجدوه على الماء، وهم مائتا أهل بيت، وغنموا ألفي بعير وخمسة آلاف شاة. ويذكر ابن إسحاق[٢٠] أن الأسرى كانوا مائة أهل بيت، وهو الصحيح. ويذكر الزرقاني[٢١] أنهم أكثر من سبعمائة، ولا تعارض بين القولين كما قال، لأن أهل البيت الواحد يمكن أن يكونوا أكثر من واحد[٢٢].

أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف يدعى هشام بن صُبَابَة، أخومقيس بن صُبَابَة، وذلك أثناء المعركة. أصابه رجل من الأنصار، من رهط عُبَادَة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ. وقدم قيس من مكة مظهرا الإسلام، وطالب بدية أخيه، فأعطي الدية، ولكنه

---

(١٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ـ المغازي، ص ٢٥٩.
(١٥) الواقدي: (١/٤٠٥).
(١٦) الفتح (١٠/٢٦٤/ح ٢٥٤١).
(١٧) صحيحه (٣/١٣٥٦/ح ١٧٣٠).
(١٨) ابن هشام (٣/٤٠٢) بإسناد مرسل.
(١٩) المغازي (١/٤١٠).
(٢٠) ابن هشام (٣/٤٠٩) بإسناد حسن.
(٢١) شرح المواهب اللدنية (٢/١١٧) ولم يسنده، واكتفى بقوله: «وقال قال بعض شيوخي...» وانظر العمري: المجتمع المدني ـ الجهاد، ص ٩٧.
(٢٢) أسد الغابة (٥/٤٠٠).

لم يكتف بهذا، بل عدا على قاتل أخيه فقتله، وفر إلى مكة مرتدا. وقد أهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة، فقتله نُمَيْلَة بن عبدالله، وكان من قومه[٢٣].

وخرج في هذه الغزوة جماعة من المنافقين، وقد سجل لهم التاريخ موقفين آخرين من مواقف الخزي في هذه الغزوة، أولهما: محاولتهم إثارة الفتنة والعصبية بين المهاجرين والأنصار. وثانيهما: السعي لإيذاء الرسول ﷺ بالطعن في عرضه حين افتروا على عائشة (رضي الله عنها) ما يعرف بحديث الإفك.

**الموقف الأول:**

حكى زيد بن أرقم (رضي الله عنه) وجابر بن عبدالله هذا الموقف. قال زيد: «كنت في غزاة[٢٤] فسمعت عبدالله بن أبي يقول: لاتنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت لعمي[٢٥] ـ أو لعمر ـ فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدالله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا. فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ، ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون...﴾[٢٦] فبعث إليّ رسول الله ﷺ، فقال: إن الله قد صدقك يازيد»[٢٧]، ولهذا قال رسول

---

(٢٣) أسد الغابة (٥/٣٦٣)، الإصابة (٣/٥٧٤، ٦٠٣)، ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/٤٠٦)، الواقدي (١/٤٠٧ ـ ٤٠٨).

(٢٤) صرحت روايات أخرى بأنها غزوة بني المصطلق. انظر مسند أحمد: (٣/٢٩٢ ـ ٢٩٣) بإسناد صحيح، والترمذي: السنن (٥/٩٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢٥) يعني سعد بن عبادة، رأس الخزرج. وهو ليس عمه الحقيقي، لأن عمه حقيقة ثابت بن قيس. انظر ابن حجر: الفتح (١٨/٨٤).

(٢٦) المنافقون: ١. ربما يفهم من عبارة «فجلست في البيت» الواردة في هذه الرواية أن الآية نزلت في المدينة بعد الغزوة، ولكن الثابت أنها نزلت في طريق العودة من الغزوة كما في حديث الترمذي في السنن (٥/٨٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وفي رواية أبي الأسود عن عروة وأبي سعيد كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٨/٢٨٥). وكلمة المنزل أو البيت كانت تعني مكان رحل الرجل. انظر حديث كعب بن مالك في بيعة العقبة الثانية، ص٢٢٤ من هذا الكتاب.

(٢٧) البخاري/ الفتح (١٨/٢٨٤/ح ٤٩٠٠)، مسلم (٤/٢١١٤/ح ٢٧٧٢).

الله ﷺ عن زيد: «هذا الذي أوفى الله بأُذُنه»[٢٨] وفي رواية: «وفت أذنك ياغلام»[٢٩].

أما رواية جابر (رضي الله عنه) فهي أكثر تفصيلا، وقد أشارت إلى سبب ما قاله ابن أبي. قال جابر: «كنا في غزاة فكسع[٣٠] رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار[٣١]. فقال الأنصاري: ياللأنصار، وقال المهاجري: ياللمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا يارسول الله: كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة. فسمع بذلك عبدالله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام عمر فقال: يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد»[٣٢].

وقد وردت روايات قوية[٣٣] أخرى تفيد أن ابن أبي قال هذا الكلام في غزوة تبوك، وهو وهم، والصحيح أنه لم يشهد تبوك[٣٤].

وأراد الرسول ﷺ أن يعالج هذا الموقف علاجا عمليا، فلذا أمر بالرحيل فورا، وسار بهم بقية يومهم ذلك والليل كله، ثم نهار اليوم التالي حتى آذتهم الشمس، ثم نزلوا، وناموا من فورهم من شدة الإجهاد، وكل ذلك

---

(٢٨) البخاري/ الفتح (١٨/ ٢٩٢/ح ٤٩٠٦).

(٢٩) من مرسل للحسن كما قال ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢٨٦).

(٣٠) المشهور فيه: ضرب الدبر باليد أو بالرجل - انظر: القاموس المحيط (٣/ ٧٨) وابن حجر: الفتح (١٨/ ٢٨٩) وقال إن ذلك كان شديداً عند أهل اليمن. وكذا قاله الطبري في التفسير (٢٨/ ١١٣).

(٣١) اسم المهاجري عند ابن اسحاق بإسناد مرسل: جهجاه بن مسعود الغفاري، أجير ابن الخطاب، والأنصاري: سنان بن وبر الجهني، حليف بني عوف بن الخزرج - ابن هشام (٣/ ٤٠٢). وعند ابن حجر: جهجاه بن قيس ويقال: ابن سعيد الغفاري - الفتح (١٨/ ٢٨٩).

(٣٢) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٨/ح ٣٥١٨) و (١٨/ ٢٨٩ - ٢٩٠/ح ٤٩٠٥)، مسلم (٤/ ١٩٩٨/ح ٢٥٨٤ وفي حديث مسلم أن الرسول ﷺ قال: «ولينصرن الرجل أخاه ظالما أو مظلوما، إن كان ظالما فلينهه، فإنه له نصر وإن كان مظلوما فلينصره» وفي رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل رجاله ثقات أن ابن سلول قال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول «سمن كلبك يأكلك..» ابن هشام (٣/ ٤٠٢ - ٤٠٣).

(٣٣) الترمذي (٥/ ٨٩/ ك. التفسير)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي: السنن (٣/ ٢٠١/ تحفة الأحوذي) ورجاله رجال الجماعة.

(٣٤) انظر ابن كثير في التفسير (٤/ ٣٦٩) وانظر كلام ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢٩٠).

ليشغل الناس عن الخوض في حديث يمكن أن يؤدي إلى فتنة[٣٥].

وعندما بلغ عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ما قاله والده، أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، إنه بلغني انك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لابد فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس، فأقتل رجلا مؤمنا بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: بل نترفق به، ونحسن صحبته، ما بقي معنا[٣٦]، ومنع أباه من دخول المدينة حتى يأذن له رسول الله ﷺ بدخولها[٣٧].

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومهم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى ياعمر، أما والله لو قتلته يوم قلت، لأرعدت له آنُفٌ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري»[٣٨].

**الموقف الثاني: حديث الإفك:**

حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك، بعد أن فشل كيدهم في المحاولة الأولى لإثارة النعرة الجاهلية، وخلاصتها:

كان قدر عائشة (رضي الله عنها) أن تخرج في هذه الغزوة مع

---

(٣٥) ابن إسحاق بإسناد مرسل، رجاله ثقات - ابن هشام (٣/ ٤٠٤)، وله شاهد من حديث ابن أبي حاتم من مرسل عروة وعمر بن ثابت الأنصاري، وهو مرسل جيد كما قال ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢٨٩) وأصله في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم وجابر بن عبدالله كما سبق ذكره، وبهذا يكون الحديث حسنا لغيره كما قال الدكتور قريبي في: «مرويات غزوة بني المصطلق» ص ١٩٠.

(٣٦) ابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٤٠٥ - ٤٠٦)، ورواه ابن منده كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٢/ ٣٢٧)، والطبراني كما في المجمع (٩/ ٣١٨)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا أن عروة بن الزبير لم يدرك عبدالله بن عبدالله بن أبي، فهو مرسل، والبزار كما في المجمع (٩/ ٣١٨)، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات».

(٣٧) الترمذي: السنن (٥/ ٩٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣٨) ابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٤٠٦)، الواقدي (١/ ٤١٨).

الرسول ﷺ[٣٩]. وفي طريق العودة، وقرب المدينة، نزل المسلمون للراحة، فنزلت من هودجها لبعض شأنها، فلما عادت افتقدت عقدا لها، فرجعت تبحث عنه. وعندما عادت وجدت الرجال قد حملوا هودجها ووضعوه على بعيرها وهم يحسبونها داخله، لأنها كانت حينذاك خفيفة الوزن. فانتظرت في مكانها، فمر بها صفوان بن المُعَطَّل السُّلَمِي، وعرفها، لأنه كان راها قبل أن يفرض الحجاب، فحملها على بعيره وانطلق بها إلى المدينة ودخلها بعد دخول الرسول ﷺ.

لقد استغل المنافقون هذه الحالة ونسجوا حولها قصة الإفك، وتولى كبر ذلك عبدالله بن أبي بن سلول. وأغرى بالخوض فيه مِسْطَح بن أُثَاثَة وحَمْنَة بنت جَحْش وحسان بن ثابت.

واغتم الرسول ﷺ بهذه الإشاعة، وأعلن على الملأ وفي المسجد ثقته بزوجته وبصاحبه ابن المعطل، وأبدى سعد بن معاذ استعداده لقتل من يخوض في هذا الافتراء إن كان من الأوس، ولم يرض سعد بن عبادة هذا القول من سعد، لأن أصابع الاتهام كانت تشير إلى واحد من قوم عبادة، فكادت تقع الفتنة بين الحيين، كما يريدها المنافقون. ولكن الرسول ﷺ فوت عليهم الفرصة مرة أخرى وأطفأ نيران الفتنة.

واستأذنت عائشة النبي ﷺ لتمرض في بيت أبيها، وهناك علمت بخبر الإفك، ففارقها النوم، وهي تنتظر إعلام الله نبيه ببراءتها برؤيا صادقة، وترى أنها أقل شأنا من أن ينزل في أمرها وحي.

وبعد شهر من معاناتها ومعاناة الرسول ﷺ من هذا الحديث نزل الوحي بآيات في براءتها وموقف الناس من هذه الفرية: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم...﴾[٤٠].

وكان أبوبكر ينفق على قريبه مِسْطَح بن أُثَاثَة ـ ابن خال أبي بكر ـ فعندما

---

(٣٩) كان الرسول ﷺ يقرع بين نسائه فمن وقعت عليها القرعة خرجت. من رواية البزار بإسناد حسن، كما ذكر الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٣٠) ووافقه السيوطي في الدر (٥/ ٢٧).

(٤٠) النور: ١١ ـ ٢٠.

خاض في تلويث سمعة عائشة أقسم ألا ينفق عليه، فنزلت الآية ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى...﴾ إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾[41]، فعاد أبوبكر إلى النفقة عليه[42]، رغبة في المغفرة.

وعاتب القرآن أولئك النفر الذين وقعوا في حبائل المنافقين: حمنة ومسطح وحسانا، فقال: ﴿لولا إذ سمعتُموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾[43].

وسجل القرآن ذلك الموقف الرائع لأولئك النفر من المؤمنين الذين وقفوا من هذا الإفك موقف المؤمن اليقظ والواثق ثقة كبيرة بآل بيت النبوة الذين طهروا من الدنس والأرجاس، منهم أبوأيوب الأنصاري وأم أيوب، فقد نزل في هؤلاء قوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾[44].

روى الواحدي[45] بإسناد متصل إلى عائشة (رضي الله عنها) في سبب نزول هذه الآية: «كان أبوأيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته وقالت: ياأباأيوب ألم تسمع بما تحدث الناس؟ قال: ما يتحدثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، قالت: فأنزل الله (عز وجل) ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾.

وروى البخاري[46] أن رجلا من الأنصار عندما سمع هذه الفرية قال: «سبحانك ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم».

وقال ابن حجر[47] في الشرح: «وقع عند ابن إسحاق أنه أبوأيوب الأنصاري، وأخرجه الحاكم من طريقه، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين،

---

(٤١) النور: ٢٢.
(٤٢) البخاري/ الفتح (١٨/ ٥٧ - ٥٨/ح ٤٧٥٠)، ومسلم (٤/ ٢١٢٩/ح ٢٧٧٠) وهو أتم سياق في هذه الناحية، وتفسير الطبري (١٨/ ٨٩).
(٤٣) النور: ١٢.
(٤٤) النور: ١٦.
(٤٥) أسباب النزول، ص ٢١٨.
(٤٦) الفتح (٢٨/ ١١٠/ح ٧٣٧٠).
(٤٧) المصدر نفسه.

وأبوبكر الآجري في طرق حديث الإفك من طريق عطاء الخراساني عن الزهري عن عروة عن عائشة. . . . ويلحظ أن الآية التي أشار إليها ابن إسحاق[٤٨] هي التي فيها: سبحانك هذا إفك مبين[٤٩]، وليست التي فيها: سبحانك هذا بهتان عظيم[٥٠]. وعموما فالمعنى واحد، وقد نزلتا في وقت واحد وبمناسبة واحدة، فليس ببعيد أن من بين أسباب نزولها موقف أبي أيوب وأم أيوب. وقد وافق الواقدي[٥١] ابن إسحاق، وزاد بصيغة التمريض أنها نزلت في أم الطفيل وزوجها أبي بن كعب.

وفي تفسير سنيد من مرسل سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة، قال سبحانك هذا بهتان عظيم[٥٢].

وخلاصة الأمر أن رواية الواحدي تتقوى برواية الآجري وابن إسحاق والواقدي، ويكون الخبر على أقل تقدير حسنا لغيره[٥٣].

وأقام الرسول ﷺ حد القذف على حسان ومسطح وحمنة[٥٤]. أما عبدالله ابن أبي بن سلول الذي تولى كبر الإفك فلم يقم عليه الحد، لأنه لم يترك دليلا ضده، إذ كان يستوشيه ـ أي يستخرجه بالبحث والمسألة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه، ولا يدعه يخمد[٥٥].

عندما عاد الرسول ﷺ جاءته جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وذكرت له مكانتها في قومها، وطلبت منه أن يعينها في قضاء كتابها لعتق رقبتها من ثابت بن قيس بن الشماس، الذي وقعت في سهمه. فعرض عليها الرسول ﷺ أن يقضي عنها كتابتها ويتزوجها فقبلت.

فلما علم الناس بذلك أعتقوا من بأيديهم من السبي، وهم مئة أهل

---

(٤٨) ابن هشام (٣/ ٤١٨ ـ ٤١٩).
(٤٩) النور: ١٢.
(٥٠) النور: ١٦.
(٥١) المغازي (٢/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥).
(٥٢) ابن حجر الفتح (٢٨/ ١١٠).
(٥٣) انظر قريبي: مرويات غزوة بني المصطلق، ص ٢٧٦.
(٥٤) رواه البزار بإسناد حسن، كما قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٣٠)، والبيهقي في السنن الكبرى بإسناد حسن (٨/ ٢٥٠).
(٥٥) مسلم (٤/ ٢١٣٤/ح ٢٧٧٠).

بيت، إكراما لإصهار الرسول ﷺ فيهم، «فما كانت امرأة أعظم على قومها بركة منها[٥٦]». وكان عتقها صداقها، كما هو واضح من الخبر.

وقدم والدها الحارث إلى المدينة وطلب من الرسول ﷺ أن يخلي سبيلها، فأذن له أن يخيرها، فاختارت البقاء مع رسول الله ﷺ[٥٧].

وأسلم الحارث بن أبي ضرار وقومه، وولاه الرسول ﷺ على صدقات قومه[٥٨].

## أحكام وعبر في غزوة المريسيع:

١ ـ مشروعية تقسيم الغنائم بين المقاتلين بعد استثناء السلب والخمس من الغنيمة.

٢ ـ دلت معالجة الرسول ﷺ للمشكلة التي حاول ابن سلول استغلالها على حسن سياسة الرسول ﷺ في تدبير الأمور وتجنب المشاكل وتفويت الفرص على المغرضين المندسين بين صفوف المؤمنين. وكان نتيجة ذلك أن جافى ابن سلول قومه، فكانوا هم الذين يعنفونه ويفضحون دسائسه.

٣ ـ كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين. وكان من لطف الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، لاسيما موقف أبي أيوب وأم أيوب، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية. فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس التي تركها لنا لنستفيد منها ونقوم بها المواقف المماثلة.

٤ ـ جاءت محنة الإفك منطوية على حكمة إلهية استهدفت إبراز شخصية

---

(٥٦) الخبر بتمامه عند ابن اسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).
(٥٧) ذكره ابن خياط في تاريخه، ص ٨٠، بإسناد رجاله ثقات لكنه مرسل.
(٥٨) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٧٩) بإسناد فيه دينار الكوفي، وهو مقبول. وحديثه يقوى بالمتابعات والشواهد، وله شاهد من مرسل قتادة بإسناد حسن، كما رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٤٧٦).

النبي ﷺ وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها، فلو كان الوحي أمراً ذاتيا غير منفصل عن شخصية الرسول ﷺ لما عاش الرسول ﷺ تلك المحنة بكل أبعادها شهرا كاملا. ولكن الحقيقة التي تجلت للناس بهذه المحنة أن ظهرت بشرية الرسول ﷺ ونبوته. فعندما حسم الوحي اللغط الذي دار حول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عادت المياه إلى مجاريها بينها وبين الرسول ﷺ، وفرح الجميع بهذه النتيجة بعد تلك المعاناة القاسية، فدل ذلك على حقيقة الوحي، وأن الأمر لو لم يكن من عند الله تعالى لبقيت رواسب المحنة في نفس الرسول ﷺ بصفة خاصة ولانعكس ذلك على تصرفاته مع زوجته عائشة (رضي الله عنها). وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلا كبيرا على نبوة محمد ﷺ.

٥ ـ بينت هذه القصة مشروعية حد القذف الذي أقيم على من ثبتت إدانته، وبينت حرمة قذف المحصنات المؤمنات وكذا المحصن المؤمن، وانه من كبائر الذنوب، وعقوبته ثمانون جلده.

٦ ـ بيان مشروعية الاقتراع والأخذ بنتائجة بدل التخيير لما فيه من تطييب النفوس، كما في خبر اقتراع الرسول ﷺ بين نسائه عند السفر.

٧ ـ مشروعية أخذ المجاهد امرأته للجهاد إذا كانت الظروف مواتية لذلك.